مساهمة في دراسة بعض سمات شخصية الطفل المعتدى عليه جسديًا بالتكرار من طرف أقرانه

دراسة تحليلية نفسية لخمس حالات

أ/ بن مجاهد فاطمة الزهراء

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة ورقلة.

الملخّــص:

تعتبر هذه الدراسة مساهمة في تناول بعض سمات شخصية الطفل المعتدى عليه جسديا بالتكرار من طرف أقرانه وتحتوي على إطار نظري تضمن مفاهيم البحث الجوهرية: الشخصية، العدوان، الاعتداء الجسدي بين الأقران، ليحتوي الإطار التطبيقي على وجه الخصوص على منهجية البحث المعتمدة و أدوات مستخدمة: المقابلة الإكلينيكية النصف الموجهة بهدف البحث واختباري الرورشاخ والخروف القدم السوداء اللذان طبق على خمس أطفال معتدى عليهم جسديا بالتكرار من طرف أقرانهم الأمر الذي سمح ببروز سمات شخصية أساسية والمتمثلة في: تقدير ذات منخفض وميل للانعزال وانعدام الثقة بالذات.

الكلمات الحاكمة: الشخصية، العدوان، الاعتداء الجسدي من طرف الأقران، الرورشاخ، خروف القدم السوداء، تقدير الذات، الانعزال.

Résumé:

Ce mémoire est une contribution à l'étude de certains traits de la personnalité de l'enfant victime d'agressions répétés par ses pairs. La partie théorique porte sur les concepts de la recherche : La personnalité- l'agression- l'agression physique entre les pairs. La partie pratique comprend en substance une présentation de la méthodologie, les outils d'investigation (entretien clinique- Rorschacha et patte noire), dont l'application sur cinq enfants agressés physiquement par répétition par ses pairs a fait ressortir essentiellement les traits de personnalité suivants : faible estime de soi- tendance à l'isolement- manque de confiance en soi.

Mots clef : personnalité- agression- agression physique par les pairs- Rorschacha- patte noire- estime de soi- isolement.

تمهيـــد:

العدوان بين الأقران هو عدوان متكرر جسدي أو نفسي من طرف فرد أو جماعة من المعتدين على ضحية في علاقة مهيمنة. هذه الظاهرة تخص حوالي 10 في المائة من العلاقات الاجتماعية في الوسط المدرسي.

وعليه فإن دراسة موضوع الاعتداء الجسدي بين الأقران يعتبر من المواضيع التي لاقت وتلاقي اهتماما متزايدًا من قبل الباحثين في ميدان الدراسات النفسية الاجتماعية نظرًا لاتفاق النظريات التي ساهمت في تفسير السلوك العدواني وتفسير ديناميكية العلاقة بين معتدٍ ومعتدى عليه من خلال تفسير وشرح شخصية كل منهما.

نحاول في دراستنا هذه تسليط الضوء على خمس حالات للتعرف على سمات شخصية الطفل المعتدى عليه جسديًا بالتكرار من طرف أقرانه.

دوافع اختيار موضوع الدراسة:

تم اختيار موضوع الدراسة بعد المشاركة في سلسلة من الملتقيات الوطنية التي تمحورت جلها حول موضوع التكفل النفسي بضحايا العنف، حيث انعقدت هذه الملتقيات على النحو التالي:

- ملتقى 2001/06/09 بسيدي فرج (الجزائر العاصمة) بعنوان: الاختبارات النفسية المطبقة على ضحايا العنف
- ملتقى 2001/09/27 بسيدي فرج (الجزائر العاصمة) بعنوان: التأثيرات النفسية للعنف
- ملتقى 2001/10/06 من تنظيم الهلال الأحمر الجزائري(تلمسان) بعنوان: التكفل بنساء ضحايا العنف

بعد حضورنا لهذه الملتقيات والمشاركة بعرض لحالات ضحايا عنف مشترك أو مختلف أشكال العدوان، تم ملاحظة واستنتاج أن ضحايا عدوان معين تشترك في نقاط وعوامل مثل الرتبة الأخوية، غياب الحيز الأبوي، وكذا النموذج التربوي سواء القاسي أو الحامي(الحماية) جدًا...

فمن خلال استدراك 23 لطفل ضحية عدوان تم استقصاؤنا للحالات التي تعاني عدوان جسديًا بين أقرانها بشكل مطوّل، كما أن ما تلعبه مجموعة الأقران من دور في النمو الاجتماعي للطفل ولتحقيق الحاجة للانتماء وللذات وكذا النجاح والاقتدار على العدو، وكذلك من وجهة نظر وقائية للعدوان الغير مناسب، وكذلك من وجهة نظر وقائية للعدوان الغير مناسب. وكذا لنتائجه الكامنة تمّ اختيارنا لهذا الموضوع الذي تضمن موضوع البحث في ستة فصول؛ حيث جاء الإطار النظري لعرض المفاهيم الأساسية للبحث (الشخصية، العدوان، الاعتداء الجسدي بين الأقران)، وجاء الإطار التطبيقي ليحتوي على وجه الخصوص منهجية البحث المعتمدة والأدوات المستخدمة وكذا عرض النتائج ومناقشتها.

عرض محتوى الدراسة:

الفصل الأول:

المقاربة النظرية للشخصية «هي ذلك الطابع العام المميز، والثابت –نسبيا– المكون من مجموع صفات الفرد الجسدية والنفسية المتكاملة في الانتظام وديناميةو ،والمتكيفة مع البيئة الاجتماعية والطبيعة التي يعيش فيها الفرد ويتبادل التأثير معها ». هذا التعريف تم استخلاصه من عدة تعاريف مختلفة للشخصية، تمثل الاختلاف بينها تجسد في النظر إلى الشخصية من حيث أنها هي المظهر الخارجي الظاهر للعيان أم هي الدوافع الداخلية أو جوهر الشخصية بغض النظر عن مظاهرها الخارجية.

ومن مظاهر الاشتراك في تعاريف الشخصية، صفاتها التي يمكن حصرها في:

- **صفة الدينامية:** طابعها الدينامي المستمر بين عناصرها المختلفة بحكم جانبها البيولوجي الذي يفرض قدرا من التفاعل والتغيير والنمو المتواصل على مدى الحياة.
- **صفة الثبات (النسبي):** بمعنى أنها تتطلب قدرا من الثبات –**مع الزمن**– في بعض وسماتها العامة، بما يسمح بتميز شخص عن غيره من الأشخاص وهذا القدر من الثبات الضروري في الزمان.

- **صفة التكيف مع المحيط الخارجي:** وتعني أن الشخصية لا يمكن أن ينظر إليها كوحدة منفصلة عن البيئة، وإنما هي جزء دائم التأثير بالبيئة الإجتماعية والطبيعة المحيطة بها.
- **صفة التمايز:** وهي **صفة جوهريـــة في دراسة الشخصية**، لأن أفـــراد مجتمـــع مـــا لو يتصرفون على نمط واحد، ويفكرون تفكير رجل واحد، ويشعرون الشعور نفسه لما كان هناك وجود للشخصية على الإطلاق **(أحمد بن نعمان،1988، ص 165)**.

لتلي بعد ذلك النظريات النفسية للشخصية والتي تتفق في أن جوهر الشخصية يتشكل بشعور وطرق معاملة الطفل من والديه وإخوته وأقاربه لأنهم يكونون العالم الاجتماعي للطفل في هذه المرحلة، وهذا ما نلاحظه في جميع النظريات المفسرة للشخصية باستثناء نظرية الأنماط لـــ **شيلدون**، الفرق بينها هو بعد النظر في دراسة الشخصية وليس في النوع؛ مثال: أنماط يونغ التي قسمها إلى قسمين منطوي ومنبسط. الأنماط مبنية على اتجاه الفرد نحو المجتمع. أما ألبورت فنجده قد أكد أن الشخصية كل متحد في النزاعات النفسية والجسمية التي توجد في مجال معين، وهذا المجال ليس مجالاً فيزيائيًا طبيعيًا بل هو مجال حيوي إنساني اجتماعي. وقد ذهب مذهبه كل من **كورتليفن** قبله و**كارل روجرس** من بعده في نظريته الظواهرية الذي يرى أن اعتبرا الذات لا يتم إلا في مجال إنساني اجتماعي، وكذا النظرية السلوكية المعرفية التي تؤكد الإطار الثقافي وأثره في تنشئة الطفل ونمو شخصيته.

أما **فرويد** رائد مدرسة التحليل النفسي فقد أعطى وزن كبيرًا للتأثيرات الاجتماعية في تكوين شخصية الفرد ودورها البالغ في سنين حياة الفرد الأولى ثم في طفولته المتأخرة وشبابه. وكان الفضل لهذه المدرسة لإضافة الكبرى له: هو أنه رسمت صورة ديناميكية للشخصية الإنسانية من حيث هي مبدان لصراع كثير من الدوافع والقوى، يصطرع فيه ميدان البيئة الاجتماعية والثقافية بما تحويه من نظم وتشريعات ومباديء وأحكام وقيم أخلاقية للجماعة.

أما نظرية كل من **هورني** و**سوليفان** فهو اتجاه يميل إلى التقليل من الدور البيولوجي للتحليل النفسي وذلك بتقليل دور الوراثة وزيادة الدور الذي يقوم به المجتمع في تشكيل الشخصية أو نقص تكوينها.

إذ يزداد الاهتمام والحديث عن اكتساب سمات الشخصية عن طريق الخبرة ونتيجة الظروف الاجتماعية ويقل الحديث عن دور الغرائز وتقلباتها.

لنخلص إلى أن مفهوم الطفل عن نفسه كشخص يتكون داخل رحم العلاقات العائلية.- سهير كامل احمد.2001.ص54-

فبعد تحديد مفهوم الشخصية وتوصيفها نظريًا، كان لوسائل قياس هذا المفهوم زمنيًا وظرفيًا يتوافق والاختبارات الاسقاطية التي تم التطرق لها بإيجاز لكل من اختبار رورشاخ واختبار خروف القدم السوداء.

لنبين السمات المفترضة لدى الأطفال ضحايا اعتداء جسدي متكرر من طرف أقرانهم والمراد دراستها، وكذا لنبين ما المقصود منها وهي كالتالي:

1 -انخفاض تقدير الذات: يقصد به عدم شعور الطفل بذاته وبقدراته وإيجابيته أو شعوره انخفاض قيمته عن طريق علاقاته العائلية التي كونت هذه صورة دون أن نأخذ تشوه الذات أو الاضطراب الظاهر الذي يؤثر في تقدير الذات ويحط منها.

2 -انعدام الثقة بالذات: ويقصد به عدم الشعور بالثبات والاطمئنان الداخلي الذي يحقق له مجابهة صعوبات الخارج، وكذا فقدان الأمن في العلاقة والاستقرار في العلاقة مع أقرانه وكل الأقارب.

3 -الانسحاب يقصد به الانفصال العلائقي الذي يكون النمو الاجتماعي للطفل، وقد يأخذ شكل مقنع كرفض المشاركة ورفض الاهتمام.

الفصل الثاني:

تضمن العدوان، ويهدف إلى كيفية فهم طبيعة وشكل العدوان مع أسبابه وتحديد عوامل الخطر المشتركة في عدوان معيّن بهدف الوقاية وكذا بطريقة التفكير ضمن هذا

الفصل تم الإشارة إلى أن العدوان موضوع معقد وشاسع والخوض في تحديد مفهومه يتطلب قدرة من التحكم.

- العدوان يشير إلى سلوك غير سوي يتميز بالعنف، هذا الأخير الذي يعرف على أنه تهديد مقصود أو استعمال مقصود للقوة الجسدية أو للسلطة ضد أنفسنا أو ضد أشخاص آخرين أو جماعة أو طائفة والذي ينتج عنه صدمة، وفاة، ضرر نفسي، سوء نمو أو الحرمان، هذه القوة الشديدة قد تصل حد المعارضة بالفزع والرعب.--E.G.Krug et al.2002.p4
- والتعدي مادي أو معنوي
- العدوانية: اتجاه يظل في حدود السواء أو يؤدي إلى العدوان وإقحام الصعاب بدلاً من التحايل على تذليلها ومحاولة فرض المرء آراءه على مجتمعه رغم الاعتراض عليها.--Norbert.sillamy.1980.p34

ولتوضيح هذه التعاريف وتحديد مجال دراسة هذه الظاهرة تطرقنا لمقاربة النظرية للدوان من خلال محاولة تفسير الس لوك العدواني؛ هذه المقاربة النظرية التي تمدنا بأفكار تعيننا على فهم الظاهرة وإدراك أنها صعبة التعريف خاصة على مستوى العصبي البيولوجي، إذ لا يسهل التحكم في العوامل البيولوجية أو الجنسية التي تكون جد مهمشة أمام المرور إلى الفعل العدائي، وكذلك فإن كل سلوك عدواني يفهم على أنه عدوان يبحث في طياته الحاجة إلى الحياة الفردية وكذا التكيف الأميوستازيز للمحيط الداخلي والوحدة الجسدية للعضوية والتي تمثل بالنسبة للتحليل النفسيautoconservation

في حين نرى أن الهوية هي التي تعمل على المحافظة على النوع على الفرد على التكيّف الذاتي للعلاقات و التدرج بين الجماعات.

1 -النظرية التحليلية للعدوان:

تقوم على المبدأ أن كل توتر عدواني ينتج عن الإحباط وتزداد العدوانية الموجهة نحو الذات حيثما صعب توجيهها نحو الخارج، وحيث يستمر منع تصريفها الخارجي ولما تتخذ الوضعية العلائقية طابعًا مأساويًا من خلال إنزال الألم بالآخر نكون أمام نزوة السطو التي هي سيطرة على الآخر والحط من شأنه من اجل إعلاء شأن الذات بواسطة العنف من

خلال الحاجة إلى توكيد الذات وجعلها أكثر واقعية ووجودية كلما تألم الآخر وكبرت معاناته.

2 -**النظرية العصبية فيزيولوجية والعصبية البيولوجية للعدوان:**

يعود الفضل لدراسة السلوك العدواني من هذه الناحية التركيبية لأبورت الذي ميز السلوك العدواني في أربع أشكال:

- **عدوان إنهابي** predatrice وهو مرتبط بالنزوة لا العاطفة ينتج عن انعدام اتزان بيولوجي؛ كالجوع مثلاً.
- **عدوان المنافسة:** وهذا له علاقة ومتوسط الذكاء القتالي المكافأ عليه، وهذه المقاتلة التي هي مجردة في العالم الإنساني، فعلى التعليم أن يسمح للطفل اكتساب معلومات ومعرفة لكي يدخل عالم الاتصالات الإنسانية الاجتماعية.
- **عدوان الدفاعي:** يستثار بمؤثر أليم عندما تكون وضعية الهروب مستحيلة فهو سلوك فطري يولد من التعب وقد يوجه باتجاه شيء مادي. وهنا يشير ألبورت إلى أن السلوك العدواني قد يكف عن طريق تعلم العقاب، فالأنا الأعلى يمثل اللحظة النفسية التي تعاقب عند الإنسان.
- **عدوان الغضب والقلق:** خلال المقاتلة بين فردين، الانهزام يكون أحسن من الموت، والشيء الذي يؤسس حلقة مفرغة على مستوى الحيوي، ونلاحظ ارتفاع مهم لنواقل العصبية، وعلى مستوى الغذي تحرر للكورتيكويد الذي بدوره يؤثر على الجهاز الكفي للفعل كف الفعل الذي هو سلوك متعلم: مما ينتج عنه تأثير في الشدة والتوير لا يمكن حفظه إلا بفعل مكافأة ولكن في بعض الأحيان يؤدي إلى تفجير عدائي أو انهياري، بالنسبة للباحثين هي أصل ما يسمى الإصابة النفسية الجسدية وفي هذه الحالات من الأحسن تسميتها أمراض الكف السلوكية.-gerard pirlot.2002.p55-

3 -**النظرية الاجتماعية الاقتصادية:**

في عدد من التحقيقات بينت الظروف الاجتماعية والاقتصادية؛ كالبطالة، المرض المطوّل للأب، البأس والقحط والظروف العاطفية؛ كالأحادية الأبوية وغياب الأب والأذى العدواني، ذكرت كعوامل عامة للعدوان. .-gerard pirlot.2002.p41.

4 -**النظرية الأنثروبولوجية:** التي تبيّن طقس التحكم العدواني الذي هو **الفارماكون** الذي يمثل كلام القائد، الأب، الشاعر، رجل السياسة الذي إذا غاب (ما يقال) يملأ مكانه المخدر. فنسجل أن كل غياب لصوت الأب ينتج عنه ظروف لحرمان مولدة الاكتئاب.

5 -**النظرية الإثنولوجية:** تسمح بإبراز حدود العدوان في ستة نقاط:

أ - العدوان بين أفراد النوع الواحد غريزي ويخلف خوف رعب تهديد.

ب -لا نستطيع الحديث حول عدوان نوع خارجي.

ج -المؤشرات المحرضة للعدوان هي نفسها التي في العدوان بين نفس النوع الواحد ولها أثر في تأسيس علاقات اجتماعية.

د -العدوان يسمح بالتوزيع المجالي ويسمح بالتدرج الاجتماعي.

ه- الطقسية الحيوانية غريزية جدًا، والطقسية الثقافية للإنسان تسمحان بإعادة توجيه نواة العدوان عن هدفها، بحيث عدوان النوع الواحد لا يكون بين أفرادهم (إنسان في غضب يضرب الطاولة أو الحائط بدلاً من ضرب ماثله).

و- العدوان ينشأ بين الجماعات عندما تشعر الجماعة بتهديد في هويتها. .- gerard pirlot.2002.p51

6 -**النظرية الظواهرية:** وقد احتلت مكانًا قيمًا في دراسة العدوان فهي ترى أنه لا وجود لعدوان مجاني اعتباطي فجائي أو بدائي. فالعدوان الذي نراه يتجسد في كارثة علائقية هو وليد عملية تغيّر بطيء داخليًا وعلائقيًا يقضي على عواطف الحب والمشاركة ليفجر مكانها العنف حرًا. أول خطوات السير نحو السلوك التدميري هو فك الارتباط العاطفي بالآخر، تنهار روابط الألفة المحبة، الحماية التعاطف على المستوى الفردي، كما تنهار روابط المشاركة في المصير وكل ما عاداها من الروابط التي تحمي حياة الآخر وتدفعنا إلى احترامها تحل محل تلك الروابط مشاعر الغربة والعداء والاضطهاد، مما يؤدي إلى بروز الأنوثة والتقوقع على الذات أو الجماعة المرجعية. الأنوثة هي في الأساس.

العجز عن اعتبار مسألة ما إلا من خلال وجهة نظر ذاتية. والوجه الآخر للأنوثة هو فقدان الآخرين اعتبارهم.-مصطفى حجازي.1984.ص20-

ومن خلال هذه النظريات والأفكار كان لا بدا لنا من تقديم نموذجية للعدوان والتي تساعد على فهم طبيعة العدوان وكذا شكله وتحديده قصد الدراسة والتحكم في هذا المجال. وكذا تم التطرق لبيئوية العدوان التي تساعد على فهم أن عوامل الخطر المشتركة في شكل من أشكال العدوان تساعد على توضيح اسباب هذا العدوان وتفاعلاته المعقدة. كما تقترح كذلك مقاييس مهمة لا بدا من أخذها بعين الاعتبار في مختلف المستويات الوقائية في مجال العدوان. كما تقدم أيضًا كيفية التفكير الوقائي في مجال العدوان كما يوضح الشكل التالي:E.G.Krug et al.2002.p69 –

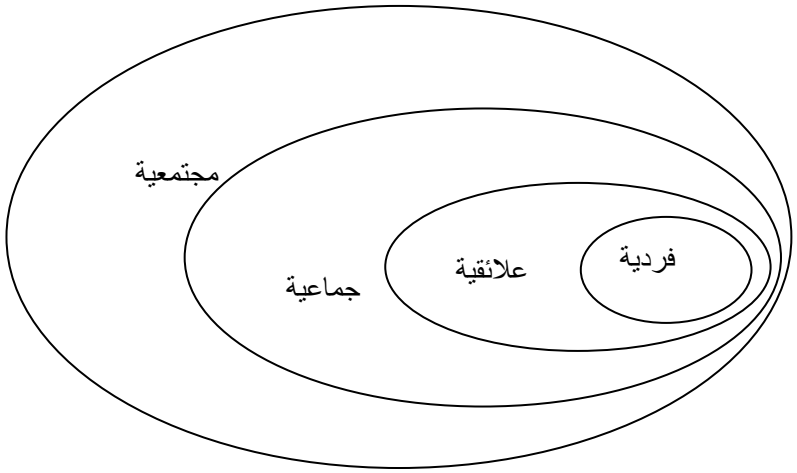

المستوى الأول: يخص العوامل البيولوجية كالسن المستوى التربوي المدخول الاضطرابات النفسية اضطرابات شخصية إدمان سوء المعاملة، هذه العوامل تزيد من احتمالية الفرد أن يكون ضحية عدوان إذ لا بدا ممن استخراجها.

المستوى الثاني: لابدا من فحص العلاقات العائلية الاصدقاء الأزواج الأقران لنرى ما إذا كانت تقوي خطر أن يكون الفرد ضحية عدوان مثل أصدقاء السوء.

المستوى الثالث: وفي هذا المستوى تبرز الخصوصيات الجماعية أين تندمج العلاقات الاجتماعية وفي هذا المستوى يتم تحديد مدى نمو عوامل الخطر مثل تغيير مكان الإقامة.

المستوى الرابع: وفي هذا المستوى يتم إبراز العوامل التي تهيء أو لا تهيء للعدوان مثل حرية الملكية للسلاح السياسة الاقتصادية والاجتماعية والتربوية.

فالنموذج البيئوي يبرز وجوبية المسايرة على كل المستويات المختلفة في نفس الوقت مما يبين أن المداخلة الوقائية تظهر في مستويات ثلاث:

الوقاية الأولية: المداخلة تكون قبل أن يصبح العوان ظاهرًا

الوقاية الثانوية: التركيز على ردود فعل آنية للعدوان.

الوقاية الثلاثية: التركيز على العناية الطويلة المدى كإعادة إدماج والتكيف

ومنه نكون أمام تحديد لموضوع الدراسة ألا وهو الاعتداء الجسدي المتكرر بين الأقران واضعين شخصية الضحية تحت المجهر ديناميكياً وظاهريًا بأكثر تدقيق، فمن خلال هذا التحديد نكون أمام سهولة تفسير هذا السلوك، الذي يوضح بدينامية لا واعية خاصة تتدخل في إنشائها الأبوين اللذان كلاهما يؤمنان مقدارًا من الحماية ومشاعر الأمن. فانعدام مشاعر القدرة والإحساس بالأمن يخلق قلق الإخصاء وقلق الهجر، هذا الأخير الذي يثير أقصى درجات العدوانية الأسرية التي توجه إلى الأم النابذة في حركة انتقامية تدميرية. أما قلق الإخصاء فيتضمن الشعور الدائم بالتهديد قد يأتيه في أي لحظة من الخارج ويزعزع كيان الطفل ويخل من توازنه، فهو يولد الآلام النفسية التي لا تحتمل والتي تمس صورة الذات وقيمتها وتصيب الاعتبار الذاتي في الصميم ولذلك فإنه يميل إلى فقدان الالتزام تجاه هذه الذات التي تحضى بالاعتبار من خلال الغرق في الخضوع والتبعية والاستسلام خاصة للزعيم أو المعتدي كحل تعويضي يعوض الطفل الضحية بعض نقصه ويعالج خصاؤه ويخفف من قلقه.-مصطفى حجازي 1884.ص103.104-.

وما يوضح هذه النظرية الدراسة التي قامت بها نتالي قارسان 1998 لرسالة الدكتوراه حول الشعور بالذات لدى الطفل الضحية .أن سلوك الضحية هو عامل خطر أكثر منه سبب، واكتشفت أن هذه الوضعية المتكررة لأن يكون الشخص ضحية تخلف تأثير سلبي على إدراك القدرات الاجتماعية. وفي دراسات أخرى بينت أن عوامل الخطر تظهر حسب المكان والوقت الذي يشغله الفرد.

إذا بعد تحديد موضوع الدراسة من حيث التعريف والديناميكية والظاهرية لنا أن نتطرق لهذه الظاهرة في المجال المكاني لها ألا وهو بين الأقران في المحيط المدرسي من وإلى المدرسة.

الفصل الثالث:

احتوى هذا الفصل على الاعتداء الجسدي المتكرر بين الأقران، فبعد التطرق للدينامية الداخلية اللا واعية للسلوك الضحية في الفصل السابق في هذا الفصل سوف نتطرق لديناميكيته الظاهرية الخارجية بدءًا بالدراسات السابقة التي احتوت دراسات تحاول تعريف الاعتداء الجسدي المتكرر بين الأقران، ومنها التي تحاول إبراز أسباب هذا الاعتداء، ومنها التي تحاول التنبؤ لعواقب هذا الاعتداء. فمن بين الدراسات التي تعرف بهذه الظاهرة نذكر دراسة **أولوار 1994** التي تبين أن هذه الظاهرة هي ليست نتيجة اكتظاظ أقسام أو إخفاق دراسي أو ظروف اقتصادية بل هي نتيجة أساسية لشخصية الضحية، وفي دراسة بينت أن ضحايا هذه الظاهرة يفقدون الثقة بأنفسهم وهم يبينون حصرًا ويظهرون بخصائص مميزة مثل الأطفال الذين لهم أصدقاء أقل لأنهم أقل اندماج في المدرسة ويملكون تقدير ذات منخفض والأطفال المجتهدون لأنهم أكثر طلبًا في المناسبات التنافسية بين المدارس، فهم معرضون للتهميش وللتحرش من طرف أقرانهم.

لنتطرق بعد هذه الدراسات لتعريف الاعتداء الجسدي بين الأقران وحدوده وشدته وإطار ظهوره وأشكاله. لنستخلص من ذلك أن الأطفال لا يذهبون للتعلم فقط وإنما كذلك لاكتساب الشعور بأنهم أفراد في جماعة ولذلك فإن تشكيل صداقات والحصول على تشجيع من الاصدقاء عنصران أساسيان في النمو النفسي الاجتماعي والشعور بالانتماء الجماعي وبالتالي الذاتي. ومنه فإن العدوان الجسدي المتكرر بين الأقران "عدوان

الاتصال الشخصي الجمعي الذي يتم بين الأقران في الصف، الأحياء المخيمات الصيفية. وهو عدوان قائم بين أفراد لا تربط بينهم علاقة قرابة أو رحم ولكن يربطهم نفس الحيز المكاني الاجتماعي العمري. وهو يبدأ من مجرد نظرة متعدية على الحيز الذاتي للآخر إلى غاية العدوان الأعمى بشكل مقصود والذي ينتج عنه ضرر نفسي حرمان سوء نمو، كما قد يأخذ شكل معارضة بالفزع والرعب".

إن العدوان الجسدي المتكرر بين الأقران يعد عدواناً أكثر ظهورًا من العدوان داخل العائلة ويبين عوامل خطر مشتركة من بينها:

- عوامل نفسية سلوكية مثل صعوبة التحكم نقص الثقة بالذات، اضطرابات شخصية.
- التجارب المعايشة مثل الحرمان العاطفي، انفجار عدوان عائلي في عمر مبكر.
- سوابق عائلية وشخصية للانفصال.

فهو عدوان أسبابه عرضية ومتنبأ بها، ومنه أخذنا نموذجية بوص للعدوان في الوسط المدرسي عام 1961 والذي يسمح لنا بتعريف السلوك العدواني وتحديد عتبة خطورته.

كما بينت دراسات أخرى أن المرحلة المتوسطة من العمر خلال 10 سنوات تظهر سلوكيات عدوانية مثل الضرب القذف العض العراك ...الخ وهنا يكون الأطفال أكثر عرضة لخطر التهميش والرفض من طرف أقرانهم المنتمون إليهم أو لتراكم الإخفاق والتأخر المدرسي مما يؤدي بهم إلى مخالطة أقران السوء.

ولإمكانية تحقيق استراتيجيات مداخلات وقائية لا بدا من تصنيف لأهم عوامل الخطر التي بإمكانها أن تمنح اتجاهات عدوانية بين الأطفال.

وهذه المداخلات الوقائية تتضمن نموذج طبي يعمل على تصحيح النقائص، نموذج الصحة الجماعية الذي يعمل على رفع الكفاءات الشخصية وقدرات المساعدة والمساندة المقدمة للفرد، والنموذج البيئي الذي يتدخل على مستوى القدرات والتجنيد والتكيف الجماعي في محيط محدد.

الفصل الرابع

خصص هذا الفصل للإجراءات المنهجية حيث:

في هذه الدراسة يعتبر المنهج الاكلينيكي الإمكانية الوحيدة في الدراسة الفردية، وهو منهج يدخل ضمن نشاط تطبيقي موجه إلى معرفة وتحديد بعض الحالات، الاستعدادات والسلوكيات بهدف اقتراح علاج نفسي أو إجراء ذو نظام اجتماعي أو تربوي أو إرشاد يسمح بتغيير إيجابي للفرد. لذلك نجده أفضل طريقة علمية لدراسة ومقاربة الطفل المعتدى عليه جسديًا بالتكرار من طرف أقرانه موافقًا بذلك فرضيات البحث قيد الدراسة، **والتي ترمي إلى أن شخصية الطفل ضحية اعتداء جسدي متكرر من طرف أقرانه تتميز ببعض السمات**. فشمول هذا المنهج على تقنيات كالملاحظة والمقابلة والاختبارات الاسقاطية زاد من ملاءمته لدراسة هذا الموضوع.

1 -دراسة الحالة: لقد استخدمت هذه الطريقة لكونها الإطار المحدد الذي تصب فيه نتائج تقنية: الملاحظة والمقابلة الإكلينيكية بهدف البحث واختبار الرورشاخ وخروف القدم السوداء بغية الوصول إلى تحليل قائم على أساس ربط النتائج المحصل عليها ببعضها البعض، لفهم وتحديد السمات المراد دراستها والمرتبطة بالفرضيات المطروحة والمتمثلة في أن:

- انخفاض تقدير الذات سمة من سمات شخصية الطفل المعتدى عليه جسديًا بالتكرار من طرف أقرانه.
- انعدام الثقة بالذات سمة من سمات شخصية الطفل المعتدى عليه جسديًا بالتكرار من طرف أقرانه.
- تتميز شخصية الطفل المعتدى عليه جسديًا بالتكرار من طرف أقرانه بالميل للانعزال.

الملاحظة: إذ تعد المقابلة الإكلينيكية بهدف البحث فرصة لملاحظة تصرفات المفحوص في وضعية ملموسة يكونها الفحص وتتضمن كذلك ملاحظة تفاعلات أم/الطفل، أب/طفل، ملاحظة الفرد مع أقرانه ... فالملاحظة هي مكمل أساسي للمقابلة.

المقابلة الإكلينيكية النصف توجيهية بهدف البحث: إن طبيعة الفرضيات المراد التحقق منها إكلينيكيًا-اجتماعيًا كانت دافعًا إلى استخدام هذه التقنية التي تعد عامل أساسي لتحليل المقابلة بهدف البحث، خاصة أن موضوع البحث يتطلب الغوص في عمق شخصية الطفل المعتدى عليه جسديًا بالتكرار من طرف أقرانه ليتسنى تحليل مضمون حوار والدته ذلك

لتأكد من العدوان الموجه إليه. إذ احتوت المقابلة على محاور أساسية التي تسهل عملية حصر مجال الاستقصاء في اتجاه الفرضيات المطروحة، وهي كالتالي:

أ –محور تقدير الذات المنخفض: يهدف هذا المحور إلى دراسة صورة الذات السلبية كسمة أساسية في شخصية الطفل المعتدى عليه جسديًا بالتكرار من طرف أقرانه. انطلاقًا من المعاش اليومي ومن خلال تقييم الذات التي تتطلب تدخل نظرة الآخرين.

ب –محور انعدام الثقة بالذات: يهدف هذا المحور إلى دراسة انعدام الثقة بالذات كسِمة في شخصية الطفل المعتدى عليه جسديًا بالتكرار من طرف أقرانه نتيجة عدم الشعور بالثقة والتردد.

ج –محور الميل للانعزال: يهدف هذا المحور إلى دراسة الميل للانعزال كسِمة نوعية في شخصية الطفل ضحية اعتداء جسدي متكرر من طرف أقرانه انطلاقًا من تحديده لدائرة ارتباطاته العلائقية أو عدم ثباتها نتيجة عدم تكيفه مع الجماعة مع حب العزلة.

الاختبارات الإسقاطية:

1 –اختبار الرورشاخ؛ وقد اختيرت هذه الأداة كونها:

- اختبار إسقاطي.
- فعاليتها في دراسة سمات الشخصية.
- إمكانيتها والخارجية للفرد وخاصة الانطواء والانبساط.

لكن ولعدم كفاية الاستجابات للقيام بتقديرها. وكذلك لعدم الحط من هذه الاستجابات والنتائج، ارتأينا أن نحتفظ بهذه النتائج التي بإمكانها أن تتضمن مدلول كفقر الاستجابات لدى هذه الحالات، فأضفنا اختبار آخر إسقاطي هو اختبار خروف القدم السوداء باعتباره الاختبار الذي يساهم في اكتشاف الحياة العلائقية للفرد وكذا اتجاهاته.

2 –اختبار خروف القدم السوداء: لقد استخدم هذا الاختبار حسب الطريقة المعدلة من **لويس كورمان** التي تسهل عملية ترجمة الاستجابات وتحليلها حسب جدول بانورامي لـــ: **ماري كلاركوست** التي توضح لنا مواضيع مختلفة وخاصة منها المواضيع ذات النمط العلائقي الوالدي وخاصة العلاقة مع الأب في لوحة السلم

القصير التي تعتبر تكملة للاستثمار العلاقات مع الصور الوالدية، والتي كان الهدف منها هو البحث المعمّق في العلاقة مع الأب.

مكان ميدان البحث:

خصائص مجتمع البحث: إن طبيعة الموضوع تحدد وتوجه انتقاء الحالات، هذه الأخيرة التي اختيرت تبعًا لعدة معايير:

- الحالات هي إحدى الأطفال الذين اعتدي عليهم من طرف أقرانهم بشكل متكرر في الحي أو في الصف.
- سن هؤلاء الأطفال يتراوح بين 8 إلى 12 سنة؛ وهي الفترة التي يستمر فيها النمو العقلي والاجتماعي والأخلاقي للفرد في إطراد بينما تكون الحوافز الجنسية كامنة. فيها يبدأ الطفل في تكوين علاقات خارج العائلة. وهو السن الذي يسمح لنا بالتحدث مع الطفل بسهولة ويكون قادر على إقامة حوار.
- كل الحالات ذكور: حسب الإحصائيات بينت أن الاعتداءات الجسدية بين الذكور أكثر منه بين الإناث. وأن الإناث أكثر عرضة للاعتداء الجنسي منه عند الذكور. وأن الإناث يتميّزن بالضعف وعدم الفاعلية منه عند الذكور.
- حُدد عدد الحالات بخمس حالات.
- شملت الحالات الأطفال الذين أُعتدي عليهم من طرف أقرانهم: وذلك لما تتضمنه جماعة الرفاق والأقران من أهمية في مساعدة الطفل في النمو المتكامل؛ منه الاجتماعي عن طريق أوجه النشاط الاجتماعي وتكوين صداقات، ومنه النمو الجسمي عن طريق إتاحة فرصة ممارسة النشاط الرياضي، والنمو العقلي عن طريق ممارسة الهوايات، والنمو الانفعالي من طريق نمو علاقات عاطفية في موقف لا تتاح في غيرها من الجماعات.

وحسب فرويد تتميز هذه المرحلة بالانجذاب إلى الجنس نفسه.

وحسب بياجي يبرز أهمية ما يتضمنه البحث عن الهوية والاندماج بمجموعة الأقران من أهمية في تكوين مرحلة أساسية لمواجهة سيرورة الفرد.

مجموع الأقران يسهل الانخراط والاندماج لبعض القيم والسلوكيات وأنّ مجموع الأقران بإمكانه أن يكون معيار قوة خاصة لتوافق وثبات اتجاهات الطفل عندما تكون العلاقات العائلية هشة.

تحديد ميدان البحث: تم إجراء هذه الدراسة في مستشفى محمد بوضياف بولاية ورقلة/ الجزائر في الفترة:

الفصل السادس

وتم خلاله تحليل النتائج المتحصل عليها وكذا تتبع دلالاتها على ضوء مفاهيم البحث والمعطيات النظرية ومقارنتها بالدراسات السابقة حسب تسلسل فرضيات الدراسة كالتالي:

الفرضية الأولى: تقدير الذات المنخفض: والذي قصد به خلال البحث، عدم شعور الطفل بذاته وبقدراته وإجابيته عن طريق علاقاته بالعائلة.

1 -**نتائج اختبار روشاخ:** سجلت قلق شديد مع عدم شعور بالذات، اضطراب قلق داخلي مع عدم الاحساس بالتكامل الداخلي أو مع عدم الارتياح لمعاملة الكبار أو الوالدين لهم.

- هذا الشعور الخير الذي برز لدى نتائج ثلاث حالات التي تبدي خصائص مميزة كطريقة المشي والتحدث وشكل الأذنين.
- كذلك هذا الحصر الناتج يتفق ودراسات كل من **أولوار 1973 ورولاند 1989 وفلرينتن 1993 وبيلموستن 1996** أن ضحايا الاعتداء الجسدي يظهرون خصائص مميزة ويبدون حصرًا.

2 -**نتائج اختبار خروف القدم السوداء:** تبين أن أشكال القلق والحصر هو قلق مرتبط بتوقع العقاب، هذا القلق الذي نجده مرتبط بعدوانية إما موجهة نحو الوالدين أو نحو الذات. وكذا مرتبط بضعف الأنا (يسجل لدى حالتين) وقلق الهجر المرتبط بالعلاقة مع الأم (لدى حالتين)، ومشاعر قوية نتيجة رقابة والديه.

- هذه النتائج تؤكدها النظرية التحليلية النفسية للدينامية اللاواعية لطفل ضحية اعتداء جسدي متكرر.

وهكذا تتحقق الفرضية الأولى أمام انبناء مختلف يقابل علاقة التسلط والخضوع مع علاقات أولية لصورة والدية سيئة. أمام شكل تقدير ذات منخفض سببها الارتباط العلائقي الملاحظ لدى كل حالات البحث.

الفرضية الثانية: انعدام الثقة بالذات: والذي نقصد به فقدان الأمان في العلاقة مع الأقارب، وبالتالي العلاقة المستقرة بين الأقران وبالتالي فقدان مجابهة صعوبات الخارج لأن الأمان الداخلي هو الذي يحقق مجابهة هذه الصعوبات.

نتائج اختبار الرورشاخ: سجل الحاجة للأمن مع عدم الارتباط تجاه الذات وكذا الآخرين، يوافق الحاجة للأمن، الاحساس بالتهديد والخوف والشعور بالدونية وكذا الحاجة للأشياء المتينة الأصلية.

هذه النتائج توافق معطيات النظرية الأنثروبولوجية التي ترى في حديث وكلام الأب دور في توجيه العدوان والتحكم فيه.

نتائج اختبار خروف القدم السوداء: تسجل اتجاه ومصدر هذا الاحساس بعدم الأمان الذي يدل على خوف وعجز طفولي وقلق ومشاعر قوية من العزلة والإحباط والهجر إلا في حالة واحدة والتي تبين الحاجة للأمن الأبوي مع عدم تحمل مسؤولية استقلاليته.

- هذه النتائج تتوافق ونتائج دراسات كل من **مانث وروكاند وبولينج** التي كانت تهدف غلى تعريف بظاهرة الاعتداء الجسدي المطول بين الأقران إذ خلصت الدراسة إلى أن الضحية تكون في حالة عدم القدرة على الدفاع عن نفسها ومن الصعب عليها الدفاع عن نفسها بنفسها أمام اعتداء جسدي أو نفسي .
- كذلك تتوافق هذه النتائج ودراسات كل من **أولور 1973 وبول ماستر 1996 ورولاند 1989 وفارينتن 1993** التي وضحت أن ضحايا الاعتداء بين الأقران يفتقدون الثقة بأنفسهم.
- تتوافق هذه النتائج كذلك ومعطيات النظرية التحليلية النفسية التي ترى في تجربة الحب الأول مع الأم تجربة وفاق التي تمد بمشاعر الطمأنينة والسكينة الداخلية وأن قلق الهجر يثير أقصى درجات العدوانية الأسرية. وأن صورة الأب الحامي يأمن مقدار مقبول من الحماية ومشاعر الأمن، فالإحساس بمشاعر القوة وصورة

الأب الإيجابية تحد من قلق الإخصاء وتزيد من تقدير الذات وصورة تحظى بالاعتبار.

إذًا هذه الفرضية نجدها تُحضى بارتباط وثيق والفرضية الأولى في علاقتها مع الأب، أي مشاعر القوة.

الفرضية الثالثة: الميل لانسحاب: والذي يُقصد به كل انفصال علائقي الذي يكون النمو الاجتماعي للطفل والذي قد يأخذ شكل الامتناع، الرفض سواء للمشاركة أو الاهتمام.

1 -نتائج اختبار رورشاخ: حسب نسبة الاستجابات الحركية البشرية بالنسبة للاستجابات اللونية التي سُجلت أن حب > ل وهذا يعني أن كل الحالات تبين انطواء وميل للانعزال الذي قد يكون سببه سن الحالات الذي يتوافق وسن المراهقة.

2 -نتائج اختبار خروف القدم السوداء: وقد سجلت متون هوروبية لحماية النفس من مشاعر ذنب قوية ومن عقاب متوقع، ولإخفاء الحاجة الكبيرة للعطف لدى معظم الحالات. ولدى حالتين سجل عدوانية لا شعورية موجهة نحو الذات ونحو الأب ضمن أولية ودفاعية تسمى القلب للضد مع ميل مازوشي.

- هذه النتائج تتوافق والمعطيات النظرية التحليلية النفسية التي تشير إلى أن قلق الهجر يثير عدوانية توجه إلى الأم النابذة في حركة تدمرية على الذات في شكل تهديد خارجي. كما وضحت في نتائج تحليل مضمون المقابلة: معارضة في شكلها النشط وأنه بمقدار اشتداد مشاعر الذنب تتعزز ميول عقاب الذات ومنه تبرز عقدة النقص والعجز التي تبرز وضعية الطفل الضحية والتي تفجر قلق إخصاء يتضمن الشعور الدائم بالتهديد قد يأتيه في أي لحظة من الخارج.
- هذه المعطيات تتوافق ونتائج الدراسة التي قام بها فار نكتوس سنة 1993 والتي تبيّن أن تكرار الاعتداءا الجسدية التي هي محتملة في حياة كل فرد، في بعض الأحيان تبين أن تكرارها بشكل مطوّل خطر على الضحايا، ومن نتائجها العدوان الموجه نحو الذات والتصرفات التهمشية في الحياة الراشدة.

إذًا كل الفرضيات متداخلة الواحدة ضمن الأخرى.

خاتمة الدراسة:

لقد اكتشفنا لدى حالات البحث أن شخصية الطفل المعتدى عليه جسديًا من طرف أقرانه بالتكرار تتميز بسمات مميزة من بينها التي تم التحقق منها عن طريق اختبارين إسقاطيين وهما اختبار الرورشاخ واختبار خروف القدم السوداء.

من بين هذه السمات التي تمت دراسته انذكر تقدير الذات المنخفض الذي له علاقة وطيدة وانعدام الثقة بالذات والاحساس بالقدرة الذي له علاقة وصورة الأب. خاصة أمام انعدام الشعور بالاطمئنان والسكينة التي تحققها العلاقة بتجارب سيئة مع صورة أم سيئة التي تكون لها علاقة وتوجه العدوانية سواء نحو الذات أو إلى الخارج. وأمام انعدام الثقة بالذات والاحتقار يلجأ الضحية إلى الانعزال تجنبًا لمشاعر الحاجة للأمن وعدم الاعتذار.

المعارف الجديدة:

لقد خلصت الدراسة إلى أهمية الارتباط العلائقي الوالدي في ظهور واتجاه عدوانية قد تكون موجه نحو الذات أو نحو الخارج وكذا في إنشاء تقدير ذات منخفض تنتج عنها عدم الاقتدار والشعور بالعدوانية. وبالتالي في تكوين شخصيات معتدية أو ضحية اعتداء، ومنه في كبح ومواجهة ظاهرة العدوان على مستوى الإطار العام للمجتمع الإنساني.

الامتدادات الممكنة:

من بين الامتدادات الممكنة نطرح بعص الاقتراحات:

- توسيع الدراسة لتشمل عينات أكبر في مناطق مختلفة.
- إعداد استمارة أو أداة عمل لاكتشاف الأطفال المحتمل أن يكونوا ضحايا اعتداء بهدف تقويتهم وتحقيق ذواتهم في الأوساط العامة، كالمدارس مثلاً.
- دراسة مختلف العوامل التي تؤثر في ظهور السلوك الفاتر، البطيء السلبي بما فيه الانسحاب داخل الأسرة أي التهميش داخل الأسرة.
- دراسة قيمة الذات وعلاقاتها بصورة الأب واتجاه العدوان.
- تنمية كل العوامل والميادين التي لها علاقة وتحقيق الذات وإثباتها وكذا الانتماء.

- في مجال الاتصال التفاعلي دراسة المعاملة الوالدية وعلاقاتها في ظهور شكل معين من اشكال العدوان.
- إنجاز برامج وقائية ونماذج تفاعلية صحية بهدف التحكم في ظهور العدوان.

المراجـــــع

1) أحمد بن نعمان.1988. سمات الشخصية الجزائرية, من منظور الإنثروبولوجيا النفسية. الجزائر المؤسسة الوطنية للكتاب .
2) أمال عبد السميع مليجي أباظة .1947. الشخصية والإضطرابات السلوكية والوجداني .القاهرة مكتبة إنجلو المصرية ط1.
3) سهير كامل أحمد.2001. الصحة النفسية للأطفال .الإسكنـــــدرية. مركز الإسكندريـــة للكتاب.ص41
4) مصطفى حجازي .1984. سيكولوجية الإنسان المقهور, التخلف الإجتماعي, الدراسات الإنسانية بيروت. معهد الإنماء العربي, ط3.
5) E.G.Krug. et .al 2002 .Rapport mondial sur la violence et la santé : résumé organisation mondial de la santé Genève.
6) gerard pirlot.2002. violences et souffrances a l'adolescence. Psychopathologie, psychanalyse et anthropologie culturel. Phycologique l'armattan
7) Gina filizzola et gérard lopez .1996. victimes et victimologie. Paris. Que sais-je ?.1er édition.
8) - Jean luc. Aubert .2001 .la violence dans les écoles .paris. ed. odilejacob.p186
9) - M.claire costes .1998 .manuel tableau d'analyse panoramique du patte noire . Alger . SARP.2iem trimestre
10) Norbert .Sllamy .1980. dictionnaire encyclopédique de psychologie .paris .bordas.
11) www.young-voice.org